عشرة من رفاقهِ تخليصهُ من يدهم وفازوا بذلك بعد ان اثخنتهم الجراح وهو نفسهُ كان قد جرح جراحاً بالغة فمات منها في اليوم التالي وقطع التلسكاليون حصانهُ اربًا كما تقدَّم وارسلوا قطعهُ الى تلسكالا . وفعل الاهالي الذين كانوا مع كورتس فعال الابطال لانهم قالوا اننا مقتولون على كل حال اذا كان الفوز للتلسكاليين. وظل الاسبانيون يقتحمون غمرات الردى الى ان خرجوا من المضيق فانفسح لهم ولبنادقهم ومدافعهم المجال . ولما سمع التلسكاليون صوت المدافع والبنادق ورأوا الدخان يخرج من افواهها والموت الاحمر يقذف منها ارتاعوا وتشوش نظامهم وزادهم تشويشاً اضطرارهم الى حمل كل قتيل وجريح من رجالهم على ما تقتضيهِ شرائع بلادهم . وقُتل ثمانية من كبار قوادهم ولما رأى ذلك قائدهم الاعظم وهو ابن الرئيس الشيخ الذي تقدمت الاشارة اليهِ امر رجالهُ بالرجوع القهقرى فرجعوا رويدًا رويدًا حسب نظامهم الحربي واكتفى كورتس بذلك فلم يجدَّ في اثرهم بل جمع جرحاهُ وسار بهم الهوينا الى ان بلغ اكمة تشرف على ما حولها فنزل فيها . وقد قام في نفسهِ ان التلسكاليين ابطال بواسل لا يصطلى لهم بنار ولا بدَّ لهُ من محالفتهم لانهم يكونون اكبر عضد لهُ في فتح بلاد المكسيك ونقويض دعائم ملكها

البطريرك بطرس الجريجيري

اذا ذُكر رجال المشرق الذين ارتقوا بجدهم حتى بلغوا اعلى منصب بين اقرانهم ووصلوا اليهِ بالانتخاب لا بالصنيعة وافادوا ابناء وطنهم قبل وصولهم اليهِ وبعدهُ فغبطة البطريرك بطرس الجريجيري في مقدمتهم . وقد عرفناهُ قسًّا ومطرانًا وبطريركًا ولنا معهُ احاديث مستفيضة لم يخرج فيها عن مصلحة طائفتهِ كأن لا غرَض لهُ من الحياة سواها

ولد في مدينة زحلة بجبل لبنان سنة ١٨٤١ ودرس فيها وفي مدرسة اليسوعيين في غزير وسيم قسًّا سنة ١٨٦٢ وجُعل مدرّسًا في المدرسة البطريركية في بيروت سنة ١٨٦٦ ثم أُسندت ادارتها اليهِ سنة ١٨٦٩ فعكف على درس العربية والفرنسوية وزادت رغبتهُ في تلقي العلوم فقصد مدينة بلوى من اعمال فرنسا سنة ١٨٧٤ ودخل مدرستها الكهنوتية الكبرى ودرس فيها الفلسفة واللاهوت ومبادئ اللغة اليونانية واللاتينية واتقن درس الفرنسوية حتى صار يستطيع القاء الخطب فيها فطاف في انحاء فرنسا وكان يعلم ان الحاجة ماسَّة في بلادهِ الى المدارس والى ما يقوم بنفقاتها فاقنع المحسنين بكلامهِ وخطبهِ حتى مدُّوا اليهِ يد المساعدة فعاد الى سورية سنة ١٨٧٨ وجعل ينشىء المدارس فيها فانشأ ٤٢ مدرسة للصبيان والبنات كان فيها ٥٦

من المعلمين والمعلمات وثلاثة آلاف من التلامذة والتلميذات وانشأ ايضاً جمعيتين خيريتين لمؤاساة الفقراء وجمعية علمية ادبية لتهذيب الشبان وتعليمهم فن الخطابة

وسنة ١٨٨٦ سيم مطرانًا على بانياس ولم يكن في تلك الابرشية حينئذٍ سوى ١٥٠٠ نفس من الروم الكاثوليك فانشأ فيها ثلاثًا وعشرين مدرسة ورمم الكنائس القديمة فاجمع الاهلون على حبهِ واكرامهِ من ابناء طائفتهِ ومن غيرها وقد سمعنا قسوس الروم والبروتستانت يعجبون بهمتهِ ويثنون على نقواهُ

وزار اوربا سنة ١٨٨٧ وقابل قداسة البابا مرارًا ومرَّ على تونس والجزائر بدعوة من الكردينال لافيجري ثم عاد الى ابرشيتهِ وبنى في جديدة مرجعون كنيسة كبيرة على نفقة قداسة البابا وبنى بجانبها دارًا للاسقفية وانشأ مدرسة زراعيَّة للايتام واشترى لها ارضًا فسيحة غرس فيها انواعًا كثيرة من الاشجار جلبها من فرنسا وغيرها فاثمرت اثمارًا نادرة المثال يباع منها للاهالي وينفق ثمنها في سبيل البر وتعليم الايتام والفقراء

ثم عاد الى اوربا سنة ١٨٩٣ ووصل الى انكلترا بدعوة من الكردينال فون الانكليزي وقد سمعناهُ بعد ذلك يثني على هذا الكردينال ويدافع عنهُ دفاع الاصدقاء لمَّا وقع الخلاف بين الكردينال وبين الاستاذ سمث جورج ميفارت على ما ابنا في الصفحة ٣٧٨ من المجلد الرابع والعشرين من المقتطف لكنهُ لم يكن متطرفًا في دفاعهِ ولا كان متساهلاً للذين ينتقدون معتقدات لا يعلمون اسانيدها

وكان كلما رحل رحلةً الى اوربا يعود منها بهمة جديدة وخيرات وفيرة لنفع ابناء وطنهِ فيبني المدارس والكنائس وهو يرمي الى غرض نبيل كاشفنا بهِ وهو مطران ثم جاهر بهِ مرارًا بعد ارتقائهِ الى كرسي البطريركيَّة وهو ان يعيد الاتحاد بين الروم الشرقيين والغربيين

ولما توفي البطريرك غريغوريوس يوسف سنة ١٨٩٧ وقع الاختيار على صاحب الترجمة بطريركًا خلفًا عنهُ بعد مجادلات طويلة وكان ذلك في ٢٤ فبراير سنة ١٨٩٨ وشمل السرور ابناء طائفتهِ وجميع الذين يعرفونهُ . وزار رومية في العام التالي فاستقبلهُ قداسة البابا واقفًا وعانقهُ واجلسهُ على كرسي امامهُ واكرم وفادتهُ واهدى اليهِ حين وداعهِ سلسلة من الذهب وعصًا رعائية مرصعة بالحجارة الكريمة تذكارًا لزيارتهِ . وقدم من ايطاليا الى القطر المصري واقام فيهِ مدةً فرحَّب بهِ ابناء طائفتهِ وغير طائفتهِ واظهروا لهُ من الاكرام ما يفوق الوصف لكثرة ما بانهم عن فضلهِ وتفانيهِ في مصلحة ابناء وطنهِ

ثم زار الاستانة العلية فوصلها في ٧ مايو سنة ١٨٩٩ ومثل بين يدي الحضرة السلطانية

في ١٩ مايو وخطب خطبة انيقة تليق بالمقام فاجابتهُ الحضرة السلطانية بما ترجمتهُ " اني مسرور من ارتقائك الى هذا المنصب العالي عن استحقاق لاني اتوسم فيك الصلاح والصحة والمقدرة على العمل فاتأمل انك تقوم احسن قيام بالوظيفة الموكولة اليك عن اهلية واستحقاق"

وزار باريس سنة ١٩٠٠ والتقينا بفيطتهِ هناك وكأن الحكومة الفرنسوية كانت عازمة ان تمنع مساعدتها المالية من الطائفة الكاثوليكية وهو يسعى في اقناعها بالعدول عن ذلك . وكان يودُّ التقرُّب من رجال انكلترا خدمةً لابناء طائفتهِ في هذا القطر ولو فسح الله لهُ في الاجل ولو كانت الاحوال في بلاد الشام على ما يرام لجنت هذه الديار من ثمار اتعابهِ اضعاف ما جنت

ومنذ بضعة اشهر تواترت الانباء البرقية انهُ مصاب بداء عضال انتهى بوفاتهِ فتوفّي الى رحمة ربهِ في الرابع والعشرين من شهر ابريل

وكان طويل القامة مهيب الطلعة وقور المجلس اذا همَّهُ موضوع زاد تهيُّج القوة العصبية في دماغهِ فاوقع في نطقهِ شيئًا من التلجلج والاَّ فكلامهُ فصيح وعبارتهُ بليغة . وسيبقى مذكورًا بما انشأهُ من المدارس والكنائس وبسعيهِ المتواصل في خير ابناء طائفتهِ

تلوين النحاس الاصفر

يصقل النحاس الاصفر اولاً ثم يوضع في مزيج من الامزجة التالية فيصير لهُ اللون الخاص بهِ كما ترى

(١) اذب ١٢٠ قمحة من كبريتات النحاس و ٣٠ قمحة من هيبوكلورات الامونيا في رطلين من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيتلوَّن بلون ضارب الى الخضرة

(٢) اذب ١٢٠ قمحة من كلورات البوتاسا و ١٥٠ قمحة من كبريتات النحاس في رطلين من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيصير لونهُ من البرتقالي الى القرفلي

(٣) اذب ٤٣٥ قمحة من كبريتات النحاس و ٣٠٠ قمحة من كبريتيد الصودا و ١٥٠ قمحة من زبدة الطرطير في رطل ماء وغطس النحاس الاصفر فيهِ فيضرب لونهُ اولاً الى الحمرة ثم الى البنفسجية فالزرقة